

الانقلاب العثماني (*)

﴿ وركيا الفتاة ﴾

٣

تفتن المايين فربا كل الرشى ومنع الرتب والاوسمة

كان لرجال المايين في الارتكاب وسوء الاستعمال ظرف ورقة وتورية بديعة ، فلما أنشئ قضاء (بئر السبع) في تيه بني اسرائيل وعين له قائمقام في الاستانة قال له دولة الناظر حسبما افاد : « بالطه كير ماش اورمانه كوندر يورم » أي اني أرسلك الى غابة لم تدخلها بلطة الخطاب . فذهب وحطب في الناس حتى عزل وأخذ تحت المحاكمة ، ثم عين في محل آخر . وهذا مثال من الف بل آلاف أمثلة للارتكاب الذي أفسد اخلاق الامة وأخرها عن اللحاق بالامم المتقدمة ، ويروي عنه الناس نوادر عجيبة واساطير غريبة تحتاج الى الجمع في كتاب او الافراغ في قالب قصصي ، وبعدها كان تعيين الموظفين يكون بطلب الباب العالي والنظارات صار التعيين وتوجيه الرتب من المايين مباشرة ، تهافت الناس على احتجان الرتب مع لقب بك الذي لا وجود له في الحقيقة بين الالقاب الرسمية كوجود لقب باشا مثلاً ، وإنما اشتهر فريق باسم بك وفريق باسم أفندي فكانوا عند توجيه الرتبة ينظرون اذا كان الاسم مقرونا بلقب بك صدرت الارادة السنية بموجه ونشرت في التوجيهات الرسمية ، فصار بائعوا الرتب يعتمدون وضع لقب في الطلب لتصدر بموجه الارادة السنية وتنشر في القسم الرسمي من الجرائد ، فتناقلها الجرائد العربية وتقول وجهت الرتبة الفلانية مع لقب بك لتوهم

(*) تابع لما نشر في (ص ٧٤٣ ج ١٠ م ١١) من رسالة محمد روجي بك الخالدي

العضو في مجلس المبعوثان عن القدس الشريف

القارىء ان لقبك توجيه جديد كلقب كونت أو مركز عند الافرنج، وامتلات دوائر الاستانة بالموظفين بلا تمييز في جدارتهم واستحقاقهم واضطلاهم بالعمل الذي هم فيه، ولم يكن الغرض من التعيين التحري على موظف قادر على ابقاء الوظيفة حقها من العمل، بل ايجاد وظيفة وعمل للمقربين والمتمسك لهم أو للذين يجتنب بأسهم ١١٠ فراد عدد الاعضاء في شوري الدولة عن المتين، ونظامهم ان يكونوا سبعة وثلاثين عضوا، وكذلك مجلس المعارف ومجلس التفتيش والمعاينة الضاغطة على حرية نشر الكتب وادخالها وهو الذي سما من كتب اللغة كلمات كثيرة مثل: حرية، وطن، اختلال، انقلاب، جمعية، رشاد، ... كما غيرت اسماء الموظفين من عهد الخيدوسلطاني ونحو ذلك الى اسماء اخر وبعضها حرفت وكتبت ملتاني، وامتلات نظارة المعارف بالموظفين حتى قال ناظرها الاخير لما عرضوا عليه الميزانية: لولا وجود معاشات المعلمين لامكتفي وضع الموازنة ١١١ فكانت معاشات المعلمين تضايقهم وهم يريدون حصر المعاشات بالموظفين من الرؤساء والاعضاء والكتاب والمفتشين، وزاد عدد اعضاء الجمعية الرسمية عن ثمانين عضوا، وكذلك مجلس المالية والاوقاف والسكرية والبحرية وغير ذلك من أنواع المجالس ودوائر الحكومة والمعينة الشاهانية، حتى ضاقت المجالس والاقلام بالموظفين وصار أكثرهم لا يجد له كرسي الجلوس عليه ١١٠ وكانوا يأخذون رواتبهم وهم نائمون في بيوتهم.

اختلال المالية وارهاق الفلاح

اختلت الموازنة المالية اختلالا عظيما ادى بها الى حجز نحو نصف رواتب الموظفين والمسالك ومخصصاتهم في كل سنة، واستفحل الظلم في جباية الاموال الاميرية وطرح الاعشار وتحصيل رسوم الاغنام، وتسايق الموظفون الى المزاودة بأعشار الاقضية والاوية، وعدوا ذلك فضيلة وسببا مشروعا للكفاة والترقي، والمكلفون من الزراع والفلاحين يشون تحت اقبال هذه التكاليف والمظالم ولا ناصر لهم ولا مفكر في شؤونهم، وقيل كان يمر على القرية شهر من دون ان يأتيها الممشرون وجباة الاموال الاميرية ونصب المعارف ومصرف (بنك) الزراعة وادارة

الرسوم الستة أي الديون العمومية والاعانات المختلفة، وكان الظلم اشد على المسلمين منه على المسيحيين الذين كانوا يحتمون بأديارهم وبرؤسائهم الروحيين ، ولقد سمعت كثيرا من الفلاحين انهم اضطروا الى بيع اراضيهم وتزويج بناتهم ليأخذوا صداقهن ويمطوا للحياة ما يطالبونهم به من الأموال الأميرية !! فصار الفلاح يتجنب زراعة الارض الا بقدر حاجته الضرورية . ومن القواعد التي قررها الفيلسوف الشهير مونتسكيو مؤلف روح القوانين : « ان الاراضي يقل ايرادها بالنسبة لحرية سكانها الا بالنسبة لخصبها » فاذا كان الفلاح حرا عمر الارض الموات وجعلها خصبة بعمله وحرثته ، واذا فقد الحرية أصبحت أرضه الخصبه مواتا بسبب الظلم والاستبداد . وعليه فان ما نشاهده اليوم في اوربا من العمران إنما هو نتيجة الحرية ، فحيثما توجهت فيها لا ترى الامروجا نضرة واشجارا وكروما مخضرة وانهارا جارية كأنها بستان عظيم ليس فيه قطعة أرض خراب

وصار رجال المابين يحرضون الولاة والمتصرفين على الاسراع بتحصيل الاموال والبعث بها الى الاستانة ، وكان القائمون بادائها لا يدرون اين تنفق وكيف تصرف لعدم نشر الموازنة المالية (Budget) بخلاف ادارة الديون العمومية التي هي تحت مراقبة الاجانب فانها في غاية الانتظام والترقي ، تزيد وارداتها في كل سنة فتدفع رواتب موظفيها ومرتبات الديون بأوقاتها المعينة ، وقد حدا ذلك الدولة الى العود الى الثقة المالية بها ، وأصبح أصحاب الديون في اوربا آمنين على أموالهم ، ولو حدثت قلاقل في المملكة العثمانية فان قيمة أسهم الديون لا تنزل إلا قليلا ، واذا أردت المقايسة بين ادارة الديون العمومية وبين نظارة المالية فانظر الى قرية من قرى الالمان أو اليهود المستعمرين في سوريا وفلسطين وما فيها من الانتظام والعمران والترقي ، والى قرى الاهالي المجاورة لها وما فيها من الفقر المدقع والخراب — يتضح لك الفرق بين الادارتين

اختلال الادارة العسكرية بادارة الجواسيس لها

اختلفت ادارة العساكر البرية والبحرية ، وأصبحت لا تمرن على التعليم الناري

واصابة الهدف ، ولا تساق سوق الجيش خوفا من الهيجان وحدث الانقلاب !!
مم ان دول أوروبا ولا سيما ألمانيا وروسيا والنمسا وفرنسا تقوم جيوشهن في كل سنة
بمناورات حربية ، يحضرها الامبراطور نفسه مع أولاده وأسرته وجميع ضباط
السفارات الأجنبية ، فيستطلعون أحوال الجند ويشوقونهم . وصار الاسطول العثماني
الذي انفق على شرائه الملايين كالمقعد الذي يروم النهوض ولا يقدر عليه لظول
مكته ، فصدمات آلاته بسبب عدم الاستعمال والجري في البحار ، واختلست أموال
كثيرة من التجهيزات العسكرية ولا سيما في تجهيز الاسطول وشراء البواخر
والمدرعات ، وصار الترفي في المراتب لا يبنى على القدم والاضطلاع والاستحقاق ،
بل على الالتئاس والانتساب والرشوة ، فكان الضابط يرتقي الى المراتب الكثيرة
في أوجز مدة وقد يكون لا يعرف للجندية معنى حتى ولا احترام من فوقه في الرتبة ،
وكان الضباط يبيعون رواتبهم التي تبقى دينا عند الحكومة للسماسرة بأثمان بخسة ،
حتى يبعث المئة قرش بأربعة قروش ! وبيع حلة (بدلة) العسكري التي تشتريها
الدولة بمئات من القروش بعشرين قرشا . . أي ان المستحق للراتب والحلة كان
يوقع على الورقة المؤذنة بالوصول اليه على القاعدة والاصول ، كأنه استلم الحلة
من مخزن الالبسة أو قبض الراتب من صندوق الخزانة ! ثم يسلمها للسماسر فيعطيه
هذا في مقابلها ما يتفقان عليه ، ثم يتفق السماسر مع المحاسبه جي ومن فوقه ويربحون
الفرق ، ويقيدون ذلك في الدفاتر (ايراد ومصرف) كأنها جرت على القاعدة
والاصول . وبهذا أصبح الضباط في حالة يرثى لها . وكنت ترى ضباط البحرية
البالغ عددهم نحو ستة آلاف في قهوات الاستانة خلوا من العمل يتجولون في
شوارعها وحاراتها !!

اشتبهت الادارة المستبدة في أمراء العسكرية الذين تعلموا في أوروبا وخدموا
الامة والوطن وصارت لهم ملكة ومعرفة تامة بأحوال الزمان ، فابعدتهم عن الاستانة
وأشغلتهم بالوظائف الثانوية بداعي ميلهم الى الافكار الحرة واعادة القانون
الاسامي ، ولقد بلغ عدد الراجعين منهم الى الاستانة بعد حدوث الانقلاب ستين
شخصا من الباشوات وأمراء العسكرية وخمس مئة ضابط ، ومنهم رجب باشا وقواد

باشا الشير وناظم باشا وهو صهر عالي باشا وأصبحت قيادة العساكر وادارة المدارس العسكرية بأيدي اناس لا كفاءة لهم وليس لهم عمل الا التجسس على أصحاب الافكار النيرة وابعادهم عن مركز الادارة، وكانوا يمدون ذلك خدمة لمنافع الساطنة والمحافظنة على الخلافة الاسلامية، فأصبح للتجسس والمراقبة دائرة من أعظم دوائر الدولة، لها مراكز وشعب كثيرة ومعاشات وافرة غير الاحسانات والانعامات، فكان الجواسيس ينظمون التقارير في كل حادثة ومسألة صغيرة كانت أو كبيرة، ويحققون المسائل ويفترونها ويصورونها في قوالب مستحيلة يبندها العقل ويأبأها أولو النظر الصحيح والوجدان السليم، وما ذلك الا لظهار خدمتهم واثبات تيقظهم ومغالبتهم لنيل المكافأة، والمالين لا يكل من تحقيق مضمون هذه التقارير لعله يجد في مئة كاذبة واحدا صحيحا، فاذا قالوا: « فلان له قصد سيء بالخليفة » أو « له مخامرة مع حزب تركيا الفتاة » أو « عنده أوراق ضارة » كانت كل واحدة من هذه النهم كافية للدمور على منزله وتفتيش أوراقه وهتك حرمة ثم نفيه أو حبسه أو عزله واباده، فكانت شبههم هذه تدور على حدوث المؤامرة ضد الذات الملوكة والمس يحقوق الخلافة الاسلامية، على انهم لم يتخذوا في الحقيقة سياسة اسلامية وهي المبرعنا عند الافرنج بقولهم « بان اسلاميزم Panislamisme » كما توجد سياسة سلافية « بان سلافيزم Panslavisme » وسياسة جرمانية « بان جرمانيزم Pangermanisme » ولا نجد في دوائر الدولة كلها قلم مخصوص بالمصالح الاسلامية كما يوجد في باريس وبرلين وبطرسبرج أقلام ودوائر خاصة بدراسة المسائل الاسلامية درسا تاريخيا علميا للوقوف على افكار المسلمين وهيئتهم الاجتماعية، وعلى أحوال العالم الاسلامي في مشارق الارض ومغاربها، ليكون الوزراء والموظفون على بصيرة ويقين من حقائق هذه المسائل الحيوية الاجتماعية، فقصدتهم من السياسة الاسلامية انما هو كل الحيات والتظاهر بالكرامات والتكبر على الناس والتشبه ببني العباس لم يتأثر الحكومة أمرا جديا العمران البلاد واستخراج ثروتها الطبيعية والسير بها في معارج التمدن والرفاه، وتعليم رعاياها أصول الزراعة والتجارة وعقد الشركات والتعاون على ما فيه نفع البلاد، بل ما كانت جميع المشروعات الوطنية فكانت لا يمكن من فتح المدارس

الخصوصية أو تعليم الأولاد ولا سيما المسلمين في المدارس والبلاد الأجنبية، وحظرت تأسيس الجمعيات واطفأت حية أرباب المهتم تذرعا بأنها تؤدي إلى الثورة والاقبال ؛ فكم نظر الولاة والمتصرفون شزرا إلى مدرسة وطنية أسسها الفرد أو إلى مدرسة سلطانية أسستها الجماعة أو إلى شركة صناعية أو مالية عقدها الأهالي، وسرعان ما كانت تسطل ويمحي أثرها، وكم منعوا الآباء من إرسال أولادهم إلى المدارس الأجنبية أو إلى مدارس أوروبا، وكم اضطهدوهم من أجل ذلك !!

ليس ما أجرته الحكومة من مد بعض الخطوط الحديدية وإصلاح المرافئ التجارية وتطهير المستنقعات إلا اجابة لطلب الشركات الأوربية وتوسط بعض التنفيذيين للاستحصال على امتيازاتها والاستفادة بما يعود عليهم بسببها من المنافع الشخصية، فمنح الامتياز كان من قبيل الانعام والاحسان لا يكاد يتم لصاحبه ويأخذ به فرمان السلطاني حتى يبيعه لشركة أجنبية ويربح منه الملايين فيوزع نصفها على الذين كانوا عوناً له في الحصول على الامتياز، ويبقى النصف الآخر بمحاصفيا له في مقابل اتعابه بالذهاب من المايين إلى نظارة النافعة (الاشغال) والصدارة، وملاحظة الخدم والكتاب والتقرب بهم إلى كبير القلم أو الدائرة، وكل زيارة تحتاج إلى اكرام و(شوقه خاطر) !! روى لي احدهم عن بعض النظار انه أوقف ختم مضبطة امتياز في مد سكة حديدية كبيرة على أخذ أر بسين ألف ليرة عثمانية، وأنه لم يقبل أخذ حوالة على المصرف (البنك) أو قوائم نقدية خوفاً من ظهور الارتكاب، واشترط ان يكون ذهباً عيناً قال الراوي فجاؤا بالمال وصفوه على منضدة كبيرة مرتجة عمداً عمداً وكان عدد كل عمود خمسين ليرة فكان ذلك ثمان مئة عمود مصفوفة مصفوفة متوازية مازوزة، وللأصفر الرنان فوق الرخام منظر عجيب، فلما تم العد والحساب قال دولة الناظر وكان مستلقياً على فراش الموت (تمامي؟) يريد هل العدد تام فقبل له نعم ياسيدي تام، فأخرج الختم من كيبه المعلق في عنقه وختم المضبطة ثم توفي بعد ثلاثة أيام فكانت آخر ملذاته من نعيم الدنيا !! ولذلك كان فريق من الكبراء والموظفين يتمتع بالقناطير المنظرة من الذهب ويقبض رواتبه سلفاً، ويويل لعالم الخزانة ان لم يدفعوها — وفريق يتضور جوعاً وهو ينتظر رواتبه المتراكمة دينا عند

الحكومة من سبعة وثمانية أشهر في السنة ، وهي التي يعول عليها في الاتفاق على نفسه وعياله النقمة الضرورية ، وكان ضباط المسافر مظلومين أكثر من سواهم فكانت روايتهم وتأميناتهم على قلبها - لا تعطى لهم ، وليس تحت أيديهم أموال ينهبونها أو رعية يرتشون منها ، ولقد كان ذلك من أعظم أسباب الانقلاب ، قال فيكتور هوغو : « ان الجوع يقرب في قلب الانسان ثقباً وعلوه حقدا »

سقوط هيئة الحكومة في بلادها وفي الخارج

ان اختلال الإدارة وتذبذبها لم يبق للحكومة قاعدة مطردة ولا أصولاً مرجعية لافي سياستها الداخلية ولا الخارجية ، وإنما أصبحت ذات قواعد مختلفة وسياسات شتى بعضها يناقض بعضها ، فكانت تمحو في الغد ما أثبتته في الأمس ، وربما غيرت سياستها مرتين في اليوم بحسب الأشخاص والوقائع ، ولهذا سقط اعتبارها عند الدول الأجنبية فجزر أن على تهديدها حتى في المسائل الحقيرة كسألة تونسي دلوران دو التي أوجبت خروج الأسطول الفرنسي الى جزيرة مدالي (متلين) ، فصرخ إذذاك مارسل سامبا زعيم الاشتراكيين في مجلس النواب الفرنسي قائلاً : ما هذه السياسة الخرقاء ؟ انكم لم تحركوا ساكناً في المذابح الأرمنية ولم تتدخلوا فيما توجب معاهدة برلين المداخلة فيه من طلب الإصلاح واجراء العدالة الانسانية ، والآن تكبدون النفقات باحراق فحم الأمة وارسال الأسطول لحماية نفرين من المرابين اقترضوا أموالهم على ان يكون ربحهم عشرين وثلاثين في المئة حتى أصبح ما يطلب لهم عين السحت ! . وسقط اعتبارها أيضاً في نظر رعاياها وصار أكثر الموجودين منهم في الديار الأجنبية يأنفون ان يكونوا من رعيها ، فكانوا يتعدون بقدر الامكان عن سفارات الدولة وقنصلياتها ، وبعضهم استبدل التابعة الأجنبية بالتابعة العثمانية

كان أرباب الحمية والغيرة الوطنية من العثمانيين ينظرون الى هذه الاحوال بعين الاسف والاستياء ويمتقدون ان مصدرها الوحيد هو الاستبداد ولا تخلص منه الا بتعليم الأمة وتنوير ذهنها ، والرجوع في الاحكام الى الدستور المنسوب للمدحت باشا وان لم يكن كله من نبات افكاره . فكان الاستبداد ضاغظاً على جميع افراد

(المئارج ١١م ١١) نهاية الضغط . جمال الدين . اتحاد الارمن والترك ١٨٤٩

الامة اذا لم يقتصر بضغطه على ضعفائها واحرارها وحزب تركيا الفتاة فقط ، بل شمل جميع افراد خاندان آل عثمان وجميع المقر بين من رجال الدولة الذين افنوا اعمارهم في تأييد دور الاستبداد وجمع الاموال والوزراء والموظفين كافة وجميع الاهالي ولا سيما في الاستانة ، حيث بطلت الافراح والجمعيات المشروعة لسعد النكاح أو الختان ، وحرم على الناس الاجتماع للسمر والحديث ، كل ذلك خوفا من الانقلاب ، وصار لا يؤذن لاحد بالذهاب الى أوربا ولو كان مرضا ، كما انه لا يؤذن للضباط بالتوجه الى الاستانة أو المرور بها ، وصار كبار الموظفين لا بد لهم من إذن مخصوص وارادة سنوية لحركاتهم الشخصية وافعالهم اليتيمة حتى زواج بناتهم وأولادهم !!

دخلت يوما على السيد جمال الدين الافغاني وهو في قصر لطيف على باب الخدم وكانت تأتيه مائدة من (المطبخ العامر) فقال: اية فائدة من هذا القصر والخدم والمائدة وانا اذا اشتهيت أكلة بفتك (شواء) أو نشر فكري جريدة أو التزهر في ناحية من المدينة لا استطيع . أيتها عيش الانسان بغير الحرية ! ولهذا فرالى باريس الداماد محمود جلال الدين باشا وابناه الامير صباح الدين بك والامير لطف الله بك ، وفرالى مصر احمد جلال الدين باشا رئيس الجواسيس وكثيرون غيرهم

اتحاد الارمن والاتراك في طلب الحرية

شكلت جمعية الانقلاب الارمنية بعد مذبح ساسون المتقدم ذكرها فرقة من الثائرين هجموا على البنك العثماني في الاستانة والقوافيه القنابل سنة ١٨٩٦ ليلفتوا بذلك نظر الحكومة العثمانية والدول الاوربية الى وجوب القيام بالاصلاحيات واعطاء الحرية وتعميم المساواة بين جميع الاهالي بلا فرق في الدين والجنس ، ثم ألفوا لجانا (Comités) كثيرة أهمها لجنة سيروب التي قاومت ست سنوات في جبال ساسون ، ثم حوّلت الجمعية نظرها الى جهة قافقاسيا (القوقاز) الروسية بسبب اضطهاد أميرها البرنس غاليزين للارمن التابعين لروسيا وتسليط التتار المسلمين عليهم ، مما أدى الى حدوث مذبح باكو وفضائلها وعدة وقائع ومقاتلات ، وتصدي الثوار لقتل الرؤساء والقواد والامراء والضباط

الذين سبوا المذابح ، وكان قتل كل واحد منهم يكلف الجمعية الاموال والنفوس ، فقتل بليف مثلاً سبب هلاك أربعة من اعضاء الجمعية وصرف مئتي ألف فرنك ، وكذلك القاء القنبلة في موكب صلاة الجمعة امام سراي يلديزفانه كلفهم خسائر جسيمة ، فمدت الجمعية الارمنية بعد ذلك عن هذه الحركات ومالت الى الاتفاق مع تركيا الفناء فعددت مؤتمراً في ويانة حضره جماعة من الترك والارمن والمقدونيين والروم والكرد والعرب واليهود والارناؤوط ، وكان الشارع في عقد هذا المؤتمر معلوميان افندي الارمني الشهير وقدم اتفاقهم فيه على المسائل الآتية : (١) قلب الحكومة الحاضرة والسعي في تحقيق ذلك بجميع الوسائل (٢) تأسيس حكومة مقيدة دستورية لجميع وعايا المملكة العثمانية (٣) استعمال جميع الوسائل الاقلامية لتحقيق هذا المقصد . وذلك لان الحكومة المتبذة استعملت جميع الوسائل لخراب المملكة واطفاء نور العلم والحرية ، فأقفلت المدارس وحجبت المعلمين ونفت التلاميذ وان الاماكن التي بقي فيها شيء من المدارس أقصت التعليم فيها بايجاد مراقبة لم يسبق لها مثل . وصارت الجرائد لا تنشر من الاخبار الا ما يؤذن لها بنشره بعد التحريف والتغيير أو الاختراع من جانب المراقب . وصارت التكاليف المستوفاة بلاعذالة لا تصرف على التعليم أو التبسط في الحضارة وال عمران ، بل على الجواسيس والجرائد المويذة للظلمة المحبذة لاعمالهم ولاسيما في البلاد الاجنبية ، وذلك لايهام الناس ومخادعة أوربا عن احوال الممالك العثمانية .

فنع العثمانيين من التجول والسفر ومنعهم من اخذ تذاكر الجواز (Passes-port) أوجبا تعطيل التجارة ، كما ان استيفاء التكاليف الاميرية بطريقة غير عادلة وقندان الامن في البلاد وتراكم المحصولات وكثرة المراهبة وقندان وسائل الاختلاط كل ذلك كان سببا قويا في خراب الزراعة . فأصبحت البلاد التي كانت مزرعة الدنيا في عهد المدييات السابقة خرابا ، وأراضيها قفرا بلقعا ، حتى هاجر منها أهلها الذين ولدوا فيها الى أمريكا وأوربا ومستعمرات أفريقيا ، ليفتشوا لهم عن قليل من الحرية والامن وأسباب المعيشة ، فالهجرة والقحط أكلا العمل الذي بدئ بالمدابح وانتج الخراب للبلاد وخلوها من السكان . فجميع ما ذكر من الاسباب أصبح الاقلاب

السياسي ضروريا لمنع اقراض المملكة العثمانية وتوقيف انحطاطها - تلك خلاصة المذكرات والمناقشات التي جرت في المؤتمر

نهضة جمعية الأتحاد والترقي وانتشارها

وأما فرع جمعية الأتحاد والترقي العثمانية في أوروبا فانه حدث الاختلاف فيه على الرياسة ، فاقسم إلى أحزاب وقارقه الكثيرون من اعضائه ، ولكن صاحب جريدة مشورت بقي ثابتا يتوفر على اصدار جريدته في أوقاتها وغيره من المنشورات وكان الدكتور نظمي بك السلانيكي الأصل وغيره من ذوي الغيرة الوطنية من خير الاعوان له ، وقبل حدوث الانقلاب بأربع سنين كانت جمعية الأتحاد والترقي العثمانية ضميعة عاجزة في حكم العدم ، ولذلك لم يعابها أرباب السياسة ولم ينتدوا بأن تركيا الفتاة حزبا موجودا ، بل كانوا يرون ان هناك بعض المتشردين ينشرون أوراقا قليلة الجدوى لتخريف المايين ونيل الوظائف والأحسان ، وكانوا يعدون أحمد رضا بك مماندا مصرا على طلبه لتخليد اسمه بين الفلاسفة الحقيقيين ، مفضلا ذلك على حطام هذه الدنيا الفانية

تداخلت الدول الأوربية منذ أربع سنين في المسألة المكدونية أي في ولايات سلانيك وقوصوه ومناسير وطلبوا إصلاحها ، فزال منها بعض الظلم وتحسنت ادولتها تحقيقا لرغبة أوروبا وخوفا من مداخلتها ، وسمحوا لاهالي تلك الولايات بقليل من الحرية ، فنفسوا بها عن صدورهم ونظروا في شؤونهم - وكانت البلغار والروم تشكل الجمعيات السرية السياسية المعروفة باسم كوميته (Comité) فسموا الداخل فيها (كوميته جي) باضافة اداة النسبة التركية إلى كلمة كوميته الأفرنجية للمحافظة على قوميتهم وحقوقهم واوزاعهم ، وكانوا يبدلون أرواحهم وأموالهم في سبيلها ويظهرون من الحماسة والغيرة الوطنية مالا يقدر ولا يوصف - وكانت الحكومة المحلية تمابهم وتلاطفهم وتسمح رضاهم ، فعز ذلك على المسلمين من الترك والأوناوط سكان تلك الولايات ، واعتبروا باخوانهم في الممالك البلقانية المستقلة استقلالاً كلأه حثا كما مانا ، الصب ، الحما ، الأسد ، الهه ، فانه ، اللغه

والبوسنة والمهرسك ، فاستيقظوا من نومهم وأفاقوا من غفلتهم ، وقالوا إلى متى نبقي في هذا الظلم والاعتساف والجور والاستبداد والذل والتحقير ؟

ولا يقسم على ضمير يراد به إلا الاذللان غير الحلي والروتد
 ما لنا لا نفعل كالروم والبنغار والرومان والصرب في محبة الوطن والدفاع عنه؟
 ولما سألوا مشايخهم عن ذلك أجابهم بان الاسلام يساعد ويحض على ذلك ،
 ووجدوا امامهم تعليمات جمعية الأتحاد والترقي فدخلوا فيها باختيار وشوق وحمية ،
 عارفين بما ينتجه فملهم من الفوائد المادية والمضوية ، قتشكل لهذه الجمعية مركز
 في سلانيك وفروع عديدة في جميع جهات الولايات الثلاث المقدونية ، ولقد بلغ
 عدد اعضاء الجمعية في سلانيك وحدها سبعة آلاف شخص ، والجواسيس غافلون
 لا يدرون من أمرهم شيئا ، وكان جمهور الاهالي في الولايات الثلاث المذكورة
 يعتقدون بانه سيصيب بلادهم ما أصاب كريدو ولاية الرومي الشرقية والبوسنة
 والمهرسك . . . الخ ، ولذلك كانوا في الباطن يتمنون نجاح الجمعية وان لم يقدروا على
 التظاهر بذلك .

الامير صباح الدين وسياسته

اكتب الامير صباح الدين على تحصيل العلم ولا سيما بعد وفاة والده
 فاستثار فكره ، وجنح للحرية والاخذ بوسائل المدنية الحديثة ، فأسس حزبا سياسيا
 يعرف بحزب (المشروطية وعدم المركزية مع التثبيت الشخصي) ولسان حال الحزب
 جريدة (ترقى) التركية وقد تأسست سنة ١٩٠٦ ومحررها هو أحمد فضلي بك
 كاتب الجمعية . فعدم المركزية (Décentralisation) يقسم إلى قسمين عدم مركزية
 سياسية مثل مستعمرة كندا الأمريكية مع انكلترا . وعدم مركزية إدارية وهو
 عبارة عن توسيع اختصاص الولايات وتزويد حريتها وانتخاب المجالس العمومية
 فيها كما أشير اليه في المادة (١٠٨) من القانون الاساسي ، وجرى تطبيقه قبلا
 قتشكل لولايات الشام مع فلسطين مجلس عمومي اجتمع مرة واحدة في بيروت ، وكان
 ذلك في أيام ولاية راشد باشا الذي صار بعد ذلك ناظرا للخارجية وقتل في واقعة جركس

حسن بك . فراد البرنس صباح الدين بك بعدم المركزية هو عدم المركزية الادارية كما صرح به لا عدم المركزية السياسية الذي هو عبارة عن مختارية الادارة مثل حكومة كندا

ومرادهم بالتثبيت الشخصي ان لا تكون الاهالي عالة على حكومتهم بل ان يسلكوا سبل التجارة والصناعة والزراعة في أمر معاشهم حتى لا يكونوا منتظرين سيب الرزق من حكومتهم والانكباب على طلب الوظائف للتعيش منها ، لأن السنة في الحكومات المستبدة ان ينتظر الأولاد دائماً الاعانة من أسرهم والأسر من أرباب مجالسهم وأرباب المجالس من حكومتهم . ولكن الامم الانكلوسكسونية بعكس ذلك فان أولادهم يعتمدون في تحصيل الثروة على أنفسهم ويختارون الصناعة اللائقة بهم . فهذه خلاصة افكار هذا الحزب السياسي

نهاية الفساد والخراب في احوال الدولة

زاد البلاء في السنين الاخيرة وتسرت تدوير دولاب الحكومة مع اجهاد المأمورين أنفسهم في جره ، فحدث في الاذهان كدر من الامس وخوف من القدر ، واحتراس من كل انسان ويأس من كل شيء ، ونفرة زائدة وبغض وحقد كامان في النفوس ، وعلم المقرّبون انهم على وشك الاتقراض ، فضايق عليهم الوقت ولزمهم الاستعجال ، قهر الكوا على ادخار الاموال واقتناء العقار ، وأودع الدهاة منهم ثروتهم في مصارف أور باو أمر يكاه وتطلبوا أعلى الرتب والمناصب فناوها واستفادوا من الحال الحاضرة بقدر ما أمكنهم . ولم يفكر الواحد منهم الا بنفسه وأولاده ثم بالاقرب فالاقرب من أسرته ، واستماتوا في سبيل الوصول الى السعادة ونفوذ الكلمة بالتقرب ، واستحوذوا على مناصب الدولة ورتبها ونياشينها والقابها ، ووجهت رتبة امراء العسكرية ورتبة بالا العلمية على المشايخ ذوي التيجان والعمائم ، ومنحو الراحة من الخدمة العسكرية لهم ومن انتسب اليهم من الرفاعية في جميع المملكة فاصبحوا لا ينتظرون في سلكها ، فكانت هذه المنحة من غريب التناقض ، وكان اذا انصب الانعام على فرد أو أسرة انهمل كالفيث المتواصل وانصب

كله في ذرع ذاك الفرد أو الأسرة دون أن يفرض منه شي على المزارع المجاورة ، ولذا قال أحد الفضلاء :

أبى المؤمنين فذتك نفسي ونفس (أبي الضلال) لما فداء
أصبيه وهتلنا جميعاً لعمرك إن ذا لمو البلاء
فلا والله ما هذا ببدل ولكن أنت تفصل ما نشاء

واحتكروا أوقاف الجوامع ومزارعها بل غلبوها ضيقاً بلا حكر ، وبلغوا امتيازات الأمور النافعة للأجانب فأضروا الدولة بذلك أضراراً جمة ، وشرعت نفوسهم للعجب وتلعت أعناقهم عظمة وكبرياء . وزاد بهم الحرص والطمع حتى فقدوا جميع المزايا الإنسانية ، فصار الواحد منهم كأنه وحش مقترس ، ينقلب يوم سقوطه وإبعاده عن منصب الدولة شيطاناً رجياً ، كما ظهر من أفعال فهم باشا وهو منفي إلى بروسه الذي أهلكه الأهالي فيها ضرباً بعد إعلان الحرية

كما أشرنا إلى هذه الحالات المتكررة المذكورة ، وإلى قرب حدوث الانقلاب في مقالة عنوانها « حكمة التاريخ » نشرتها جريدة طرابلس الشام في عددها (٥١٧) الصادر في ١٥ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٣ بعد أن بدّل المراقب فيها وحرف كما أراد ، نظماً منها أنها تخفى وربما خفيت على فطنته ودقت على فهمه ، ولكنها عندما بلغت الأستانة واطلع عليها الملدوغون صدر الأمر بتعطيل الجريدة ، فكاد بركان الأستناء تنفجر منه قوّهات في عدة جهات ، لأن بقاء الخلال على ما ذكر غير ممكن في القرن العشرين ، خصوصاً وأن البلاد العثمانية متوسطة بين أوروبا والشرق الأوسط والاقصى . ومما زاد اختلاطنا بالعالم المتمدّن تجديد السكك الحديدية وتوارد بواخر الشركات الأجنبية على شؤرتنا ، ومشاهدتنا صور السينيماوغراف وساعات الفونوغراف ، وركوبنا الترام الكهربائي والحوائط والدراجات كل ذلك كان من دواعي اختلاط الأمم وامتزاجها ، وأصبحت المسافة بين الأستانة وباريس أقل من ستين ساعة بعد أن كانت تقطع في شهور وأعوام

نمت النابتة الجديدة من الشبان المتعلمين في مدارس الدولة الملكية والعسكرية ، أو في المدارس الأجنبية التي افتتحها الأوربيون والامم يكون في الشرق ونعم من الحكومة

المسلمين من دخولها والتضييق عليهم وعلى أوليائهم في ذلك ، أو في المدارس الخصوصية التي استنها طوائف الروم والارمن واليهود والبنار ، فعملت النابتة الجديدة من الشبان والبنات اللغات الاجنبية ، وطالعوا الجرائد والكتب ووقفوا على مواضع الضعف في الدولة ، وادركوا محل الخلل ، وصار يتخرج في كل سنة في هذه المدارس عدد عظيم مثبعون بفكر الحرية ومتخفقون بالاخلاق الاوربية والحاسة الوطنية . فكانوا كلهم موضع شبهة أولئك الجهال المستبدين بالامر ، فضيقوا عليهم واضطهدوا هؤلاء الشبان اضطهادات كثيرة شتى كالنفي والحبس والمراقبة ودمور المنازل وتفتيش الاوراق فكانوا كلهم عرضة لاستبداد المستبدين ،

فلما حدث الانقلاب في ٢٤ تموز (يوليو) وانفجر في سلانيك وما جاورها من الولايات بركان الاستياء كان هؤلاء الشبان وجميع العثمانيين مساعدين ومعضدين لحزب تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي ، ولذلك لم تحصل معارضة ولا مقاومة من احد لان الجميع مساوون حتى المستبدين انفسهم والمستفيدين من الحال الماضية والوزراء الذين اودعوا السجن واسترد منهم ما اغتصبوه من الاموال لان كلامتهم كان يتطلب اكثر مما ناله ، ولو لم يحدث الانقلاب بالصورة التي ظهر فيها لحدث بصورة اخرى بعد تبدل السلطنة ولكن اذ ذلك مدهشا دمويا

انفجار بركان الحرية وحدث الانقلاب في ٢٤ تموز

تسمى لجمعية الاتحاد والترقي العثمانية في سلانيك اخفاء أمر هامدة ولكن رأتحتها فاحت بعد ذلك لكثرة الداخلين وصعوبة الكتم والاختفاء ، فاحس بها جوايس سلانيك وبعثوا بتقاريرهم إلى المايين ، فأرسلت الجوايس من الاستانة ، فقررت الجمعية اعدام الذين ثبت لديها تجسسهم وخيانتهم للوطن ، وعينت فدائين من اعضائها بالقرعة أو بالتراخي

وكان القائم ناظم بك قومندان مركز سلانيك يفتل بجهوده في كشف اسرار الجمعية فذهب اذ ذلك الى الاستانة ليرض معلوماته ، ورجع منها ثالثا لفي قرش ضما على راتبه فزاد اجتهاده وتحريره ، وطلب تانية الى الاستانة وبقيا كان على

أهبة السفر اذ فوجي بضربة من احد الضباط فذهب الى الاستانة مجروحا وحضر بعد ذلك الى سلانيك صادق باشا وماهر باشا وأمير اللواء يوسف باشا وبعض الياوريه وعدة من موظفي الملكيه، ونظموا دقرا باسماء كثيرين من المتهمين بعضوية الجمية، وحبسوا ونفوا والقوا الرعب في قلوب الناس حتى كاد اليأس يستولي عليهم، فقام في مناسر صلاح الدين بك قائمقام ارکان حرب والبيكباشي نيازي بك الارناؤطي بتشكيل فرقة من المساكر الوطنية وذهبوا لتاحية (رسنه) وهي في الغرب الشمالي من مدينة مناسر على مسافة ثلاثين كيلومترا ولحق بهما كثيرون من الوطنيين وانور بك البيكباشي صهر ناظم بك قومندان سلانيك وكان طلب الى الاستانة ووعد بمكافأة كبيرة ولكنه اختار نفع وطنه على منفعة الذاتيه

ثم قتل في سلانيك أحد الجواسيس فقلقت حكومة الاستانة قلقا عظيما وطلبت مفتي الالاي مصطفى افندي لتستفهم منه عن هذه الاحوال، وضمت إلى معاشه خمس مئة قرش !! وبينما كان خارجا من الفندق للسفر الى الاستانة جرحه أحد الضباط بحضور جم غفير، وهرب الجراح من دون ان يعارضة أحد من الحاضرين ولا أخبروا عن أشكاله وصفاته، فندبت حكومة الاستانة للسفر الى (رسنه) الفريق الاول شمسي باشا قومندان (مترويجه) فاختر من يعتمد عليهم من الضباط وقابورا من المساكر وحضر على القطار الى سلانيك ومنها الى مناسر وذهب تو إلى إدارة التلغراف لخبرة المايين، فخرج عليه أحد الضباط وقتله، وامتنع من معه من الضباط والمساكر عن الزحف على (رسنه) ومقاتلة اخوانهم

ثم قتل على هذا الوجه كثير من الجواسيس الملكيين والعسكريين فقرر مجلس الوكلاء ارسال ثلاثين ألفا من مساكر الاناضول. ولما وصل منهم إلى سلانيك الثلاثة توأير الأول امتنعوا عن مقاتلة اخوانهم وانضموا اليهم أيضا، فأحس المايين بأن سوق عسكر الاناضول الى الروملي إتمام لهوة الجمعية فأوقف ارسال بقية مساكر الاناضول الى سلانيك، ثم اجتمع في (فيرزوبك) عشرون ألفا من الارناؤط وذهب سبع مئة من رؤسائهم الى اسكوب لاعلان القانون الاساسي والحكومة المقيدة وفي يوم الخميس ٢٣ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٨ خرج الناس في سلانيك

(المارج ١١ م ١١) اعلان الحرية بسلايك . خلاصة أسباب الاقلاب ٨٥٧

صباحا ووجدوا اعلانات مخنومة بمختم الجمعية أي جمعية الأتحاد والترقي العثمانية تدعوهم الى الاجتماع في يوم الجمعة لاعلان القانون الاساسي والحرية ، فلم يتمهلوا للغد بل اجتمعوا في ذلك النهار في ميدان أولمبيوس على الطوار (الرصيف) في مدينة سلايك وضح الجمهور قائلا إما الحرية واما الموت !! . وأول من خطب على طَنْف (بلكون) فندق (أولمبيوس بلاس) غالب افندي بالتركية ثم مانويل قره صو باليهودية (الاسبانية) ثم روصو افندي بالفرنسية وسليمان افندي بالتركية وفضلي بك نجيب عمر جريدة (عصر) بالتركية وفيلوطاش بابا جورج بالرومية والتركية وترجمان المحكمة المخصوصة (فوق العادة) بالبلغارية وفي ختامهم عادل بك رئيس البلدية بالتركية ثم هتف الجميع « فليحي الوطن ، فلتحي الامة » فلتحي الجمعية ، فليحي الجيش ، الحرية أو الموت » وأعدوا في تلك الليلة مأدبة ضربت فيها الموسيقى العسكرية على الانغام المرسيية :

(1) Allons enfants de la patrie le jour de gloire est arrivé

وكانت ترجمت بالتركية هكذا : « قاتلك أي أهل وطن شان كونلري كلدي » وفي ليلة الجمعة وردت رسالة برقية إلى حلمي باشا المفتش العام لولايات مكدونية بصدور الارادة السنية باعادة القانون الاساسي ، فاجتمع الناس في سراي الحكومة ، واعلنت الحرية والقانون الاساسي رسمياً بحضور المفتش العام ومشير الفيلق الثاني ابراهيم باشا، وموظفي الحكومة والبلدية واعضاء الجمعية وابتدأ موسم الافراح والسرور .

الخلاصة واسباب الاقلاب بلاسك دماء

حدث الاقلاب العثماني بلاسك دماء ولا حصول اضطراب أو قلاقل في

(١) المنار : هذا البيت من آيات لحن الثورة الفرنسية وترجمته بالحرية

ترجمة حرفية نظماً هكذا :

هلموا يا بني الوطن فيوم المجد قد واني

(المارج ١١) (١٠٨) (المجلد الحادي عشر)

الملكة كما حصل عند باقي الامم من الانكليز والفرنسيين والامريكان والمجر والروس وغيرهم ، وفي ذلك قال بعض رجال السياسة : « لا تبت الحرية مالم تسق بالدم » ولذلك أسباب كثيرة منها :

(١) ان الحكومة ليست حكومة مطلقة كما يظنها الناس ويسمياها الافرنج (Théocratique) وانما هي مقيدة باحكام الشرع الشريف الذي يأمر بالشورى ويحض عليها كما ذكر في صدر هذه الرسالة . فالانقلاب لم يضع حقوق السلطنة والخلافة كما ضيع انقلاب الفرنسيين وغيرهم حقوق ملوكهم المطلقة المقدسة الالهية ١١١١ حتى اتصر سافريق من الناس وقاتلوا في سبيل استرجاعها ولم يزالوا يطالبون بها في هذا القرن العشرين عصر التمدن والعلم والنور .

(٢) عدم وجود امتيازات اصنف من اصناف الامة العثمانية كما يوجد عند الفرنسيين للاشراف والرهبان امتيازات وحقوق مشروعة على الاراضي بحسب عرفهم وشرعهم القديم ، ولذلك قاتلوا عليها لما حدث الانقلاب الفرنسي وحرهم من حقوق المشروع على زعمهم واعتقادهم ، أما الانقلاب العثماني فلم يضع لاحد حقا فان الحقوق التي كانت على الاراضي للدره بكوات (دره بكر «*) (المعروفين عند الافرنج باسم (Féodalité) وهي في المملكة العثمانية حقوق الزعامة التي بعد التتكيل بالانكشارية في عهد السلطان محمود خان ، وأعطى لاصحاب هذه الحقوق ضمانا ورواتب استوفوها مدة حياتهم ومنهم من لا يزال في قيد الحياة ليومنا هذا يستوفي حقه من الخزانة في كل سنة ، ووضع أخيرا قانون الاراضي الموافق لاحكام الشرع وهو من أحسن قوانين الدولة وضما وترتيا كما هو معلوم عند طلبة مدارس الحقوق . فالمسلمون لا فرق في الحقوق بين الشريف منهم والوضيع وغير المسلمين « لم مانا وعليهم ما علينا » اما الامتيازات التي وهبها السلطان محمد

(*) المناج : يراد بكلمة (دره بكر) في التركية اصحاب الزعامة والنفوذ الفعلي في المقاطعات وقد كانت بلاد الدولة معظمها على هذا النمط ولا سيما في الاناطول فان السلطة والنفوذ كانا في أيدي هذا الصنف من الناس

الفاخر للروم وأقرتهم عليها والامتيازات الاجنبية التي أنعم بها سلاطين آل عثمان على الاجانب تفضلاً منهم واحساناً لا يجرى وغلبه فسيجري الاتفاق عليها بصورة حية برضى بها الجميع .

(٣) ان الافراد الذين عزلوا من وظائفهم وصودر ما استحوذوا عليه من الاموال المنقولة وغير المنقولة بسبب ارتكابهم واستبدادهم يتعرفون بانهم ادخروا هذه الاموال الكثيرة من غير الوجوه المشروعة بل بأكل أموال الامة والدولة بالباطل ، كما يعرف الاذكياء منهم بمشروعية هذا الانقلاب ولزومه وقائده ، وقد صرحوا بذلك وأقروا به فلا يتصور قيامهم للمطالبة بشيء أو لاعادة الادارة السابقة المستبدة ، وليس لهم عصبية تساعد على ذلك ان هم أرادوا أو حاولوا . وإن الامة بأجمعها عرفت الحق من الباطل والنافع لها من الضار ، نعم ان الموظفين الذين خدموا مدة ثم ألغيت وظائفهم أو عزلوا منها لهم حق في طلب راتب التقاعد أو التوظيف في وظائف أخرى ، إذ لا يليق بشرف الامة ان تلقي على قارعة الطريق جاعفيرا قضوا حياتهم في خدمة الادارة السابقة ولا معاش لهم ولعياهم غير ما كانوا يتقنونه من الرواتب ، فان هذا الانقلاب الذي بدأ بالشفقة على الاهالي المظلومين من شأنه ان يستعمل الشفقة والحنان أيضا في حق الظالمين لتم سعادة الامة ولا يلحق بأحد ضرر ولا خسران .

والحاصل ان الفضل في حدوث الانقلاب العثماني من دون سفك دم ولا حصول اضطراب وقلق في المملكة انما هو للشريعة الاسلامية وما في احكامها من العدل والمساواة في الحقوق . ولهذا كان رد الفعل أو الرجعة (Réaction) في هذا الانقلاب غير محتمل بل هو مستحيل لعدم وجود اسباب معقولة أو مشروعة تحفز اليه ، بخلاف ما حدث في فرنسا وأمثالها إذ كان للقائمين برد الفعل أسباب كثيرة تحملمهم على القيام لاعادة الادارة السابقة . اه